رجال المال والاعمال

خلق صحافي كبير

اذا عُدَّ كبار الصحافيين في اميركا كان جوزف بُلتزر في طليعتهم . جاء نيويورك وهو لا يملك ما يتبلغ به فارتقى بمجدهِ وذكائهِ واقدامهِ الى اعلى المناصب السياسية في البلاد وصارت صحفهُ قوة يُخطب ودّها ويُحاذر صولتها لما عرفت بهِ من شدة الشكيمة في محاربة المظالم وقوة النفوذ في المشاكل السياسية والمصالح العامة . وادرك ما للصحافة الراقية من الشأن الكبير في ترقية الشعوب فوهب من ثروتهِ مليون ريال لتأسيس كلية للصحافة في جامعة كولومبيا بنيويورك تكون في مستوى الكليات الاخرى التي تعلم المهن الحرة كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها . وكلف بتشجيع الاعمال العامة المفيدة فوهب متحف اللوفر في نيويورك كثيراً من مالهِ ووضع جوائز لا تزال توهب سنوياً للفائزين في مسابقات الطيران وللمؤلفين الذين يضعون افضل الكتب في السير والتراجم وغيرها وتعرف كلها بجوائز بلتزر . هذا وقد اطلعنا على ثلاث مقالات في مجلات مختلفة يصف فيها كتّابها هذا الصحافي الكبير احداها كتبها المستر كروزير صاحب جريدة البوسطن بوست الآن وسكرتير المستر بلتزر سابقاً لخصناها فيما يلي وعلقنا عليها بقطفات من المقالتين الاخريين . قال المستر كروزير

ولد المستر بلتزر في بلاد المجر سنة ١٨٤٧ وهاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٤ اي لما كان في السابعة عشرة من عمرهِ وكانت الحرب الاهلية في منتهاها . نزل نيويورك فقيراً معدماً لا يملك شروى نقير فاضطر ان يبيت ليلتهُ الاولى على مقعد في حديقة قرب بناية المحافظة — وقد بنى فيما بعد بناية جريدتهِ الكبيرة ازاء هذه الحديقة — ثم انضم الى فرقة الخيالة في جيش الشمال وحارب في صفوفهِ حتى وضعت الحرب اوزارها وتم الفوز للولايات الشمالية التي كانت بقيادة لنكن على الولايات الجنوبية

ولما خمدت نار الحرب الاهلية وجد نفسهُ في احدى الولايات الغربية المتوسطة بلا عمل لكنهُ كان ذا همة فائقة وعقل متوقد فلم يطل عليهِ الوقت حتى وجد لهُ عملاً في جريدة المانية بمدينة سانت لويس كانت اكبر الصحف الالمانية حينئذٍ في تلك الانحاء . ولم تمض عليهِ سوى ثلاث سنوات حتى صار رئيس تحريرها وصاحب اسهم فيها

وكانت المقالات التي يكتبها فيها يقلم من نار قد نالت اعجاب القراء فاقبلوا عليها فاتسع نطاق جريدة الساعة سريعاً جعل شركاءه الباقين ان يطلبوا منه شراء اسهمهم فيها وعرضوا عليه ثمناً ما يقبل به اذ قال لهم «لا ابيع اسمي الا بضعف هذا الثمن» فارتدوا عنه خائبين ولم تمض ثلاثة اشهر حتى جاءوه ثانية يعرضون عليه الثمن الذي طلبه فرفض وقال لقد تغيرت الاحوال الآن وارتفعت الاثمان فاطلب ضعف ما طلبته سابقاً فرفضوا الشراء وتكرر هذا العمل مراراً كان في كل مرة منها يضاعف الثمن السابق حتى رضوا اخيراً ان يدفعوا له ما طلب

وتقلب في مناصب صحافية وسياسية مختلفة قبل ابتياع جريدة الدسبانش والبوست المسائيتين في سانت لويس سنة ١٨٧٨ فوحّدهما باسم البوست — دسبانش وانتُخب سنة ١٨٨٠ مندوباً في مؤتمر الدمقراطيين وابتاع سنة ١٨٨٣ جريدة الورلد النيويوركية التي صبّ جهده على جعلها في المقام الاول بين الصحف الاميركية فاصاب ما كان يصبو اليه من النجاح

لقد كان نابغة حقاً عقله ماض كالسيف وهمته لا تعرف الوني يثير الظلمات بثاقب بصره . تفوّق في مقدرته على العمل وفي استنهاض هممِ مساعديه للتفاني في اعمالهم

واليك ما كنت اعمله في نهاري وليلي لما كنت سكرتيره الخاص :

كنت اجتمع به في الساعة العاشرة صباحاً في بيته او في المكتب وقبل هذا الاجتماع كان عليّ ان اقرأ كلّ ما يرد في جميع صحف نيويورك الصباحية . ليس فيما اقوله مبالغة او غلوّ بل هي الحقيقة المجردة كان عليّ ان اقرأ كل كلمة سواء في مقالات الاخبار او المقالات الرئيسية او الاعلانات وادهى من ذلك انه كان ينتظر مني ان احفظ كل ما اقرأه فيطلب اليّ ان ابسط له ما نشرته الجرائد المختلفة في مبحث من المباحث المعينة . يتناول حادثة من الحوادث ويسألني عما جاء في جريدته الورلد عنها وما جاء في كل من الصحف الاخرى وما علّق عليها من الآراء . ثم يتناول الاعلانات فيطلب مني مقارنة تامة بين ما في جريدته من الاعلانات وما في الجرائد الاخرى منها ونسبة مساحتها بعضها الى بعض . كذلك كان عليّ ان افتح مراسلاته الخاصة والمتعلقة بالعمل وكنت اجيب عن بعضها من غير ان اريه اياها

وبعد ما ننجز مراجعة الصحف على هذا المنوال نذهب الى المكتب اذا كنا في البيت فيصدر اوامره اليّ فيما يتعلق بالمقالات الرئيسية لليوم التالي وكان عليّ ان اكتب بعض هذه المقالات بنفسي . ثم يبسط لي النحوَ الذي يجب ان تجري عليه في سرد حادثة

من الحوادث وبعد ذلك يهتم بادارة العمل فيبحث مع المديرين في سياسة الجريدة ومالتها وما كتناتها وورقها وامور نشرها وتوزيعها . لم يترك وجهاً من وجوه العمل مهما كان صغيراً من غير ان يهتم به اهتماماً خاصاً وكان عليَّ ان اجاريهُ في ذلك ايضاً

وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنا نذهب معاً لتناول طعام الغداء فنأخذ مضاما تأخر النظر فيهِ من الامور المستعجلة فكنا نقضي نحو ساعتين حول مائدة الطعام نبحث في ما لدينا من المسائل ونضع الخطط لتنفيذ آرائنا الجديدة ثم نتنزهُ نزهة قصيرة في احدى الحدائق واعود الى المكتب لانجز ما تراكم عليَّ من الاشغال التي عهد بها اليَّ

وبعد تناول طعام العشاء كنت اذهب الى دارهِ لاريهُ مسودات المقالات الرئيسية لليوم التالي وكان حينئذٍ قد فقد البصر من احدى عينيهِ وضعُفَ بصر العين الاخرى لكن هذه المصيبة لم تفلَّ عزمهُ بل شحذتهُ فكان يمسك المسودة على مقربة من عينهِ لكي يرى حروفها الدقيقة ويقرأ كل كلمة فيها ويشير بقلم ازرق الى التصحيح الذي يود احداثهُ فيها وكان يحتم علينا ان نريهُ المسودة بعد تصحيحها فيقرأها ثانية بجدافيرها . كذلك كان يمرُّ الجزءان الاول والثاني من الليل ولا يذهب الى سريرهِ قبل الساعة الثانية صباحاً

اما انا فكنت انام في الساعة الثالثة صباحاً ولا انام اكثر من ثلاث ساعات لاني كنت استيقظ في الساعة السادسة صباحاً لاباشر اعمالي على المنوال الذي بينتهُ

تزوجت من غير ان اخبرهُ ولما عرف غضب شديد الغضب وقال لا يحق لصحافي ان يتزوج لانهُ يجب ان ينفق كل وقتهِ وجهدهِ في جريدتهِ فاجبتهُ اني اقتديت بهِ وكانت زوجتهُ امرأة فاضلة فتاة من عائلة كريمة فسهل عليَّ اقناعهُ

الاَّ ان اختلافنا لم يقف عند هذا الحد البسيط فطلب اليَّ في احد الايام ان افعل امراً كان في نظرهِ صواباً فرفضت لاني كنت غير مقتنع بصلاحهِ . تمادى في الالحاح عليَّ فتمادیت في الرفض الى ان هددني قائلاً « لعلك تعلم الى ما يؤدي بك رفضك » فقلت اعلم تمام العلم معتقداً انهُ سيطردني من العمل وكنت قد تزوجت وولد لي ولد فلم يكن من مصلحتي ان اترك منصباً كالمنصب الذي كنت اشتغلهُ على ما فيهِ من المشقة والعناء على اني لم استطع ان اتحول عن الموقف الذي اتخذتهُ في تلك المسألة

ولكن ماذا فعل . رقاني في صباح اليوم التالي الى ادارة اصعب الاعمال في جريدة الورلد وهو منصب محرر المدينة وكأنهُ قال لي « فعلت هذا قصاصاً لك » . لم اكن قد اشتغلت بالتحرير من قبل واذا بي على رأس مائة من الكتاب الذين قضوا سنوات كثيرة

في المرائة الصحافية وكنت حينئذ في الثامنة والعشرين من عمري واكثرهم اكبر مني سناً واوسع خبرة. وبعد ما قضيت ستة اشهر في منصبي الجديد رقاني ثانية — قصاصاً لي — الى رآسة التحرير في جريدة جديدة انشأها ودعاها الورلد المسائية وكان حينئذٍ يخسر بها نحو الف جنيه في الاسبوع . ومن حسن حظي ان عيّن لي مساعداً اتفقت انا واياه في الغاية والواسطة فنشطنا الجريدة من وهدة الافلاس

وبعد ذلك استقال المستر كوزير من جريدة الورلد واشترى جريدة البوسطن بوست واستقل في اصدارها

***

ومما عرف عن المستر بلتزر انهُ لم يكن يهتم بطبعتي الورلد المسائية والاحدية الا اهتمامهُ بمشروع تجاري محض . اما الورلد الصباحية فقد كانت جريدتهُ حقاً ينفخ على صفحاتها روحهُ وينشر فيها آراءهُ وكان ينفق عليها من الاموال الى حد الاسراف ليجعلها في المقام الاول بين جرائد نيويورك . قيل انهُ لما اتفق مع المستر جون غولد صاحبها على ابتياعها بثلاثمائة وستة واربعين الف ريال تدفع اقساطاً بات ليلتهُ مضطرباً تساورهُ الريب في صواب ما فعل حتى قرّر ان يثني عن عزمهِ قبل توقيع الاتفاق في اليوم التالي وطلب من زوجتهِ ان تعدّ امتعتها ليسافر واياها في رحلة اوربية فبسمت في وجههِ وما زالت تشجعهُ حتى بددت غياهب الريب ونفخت فيهِ روح العزيمة والاقدام

وكان مديرو الجريدة بعد تخليهِ عن العمل يديرونها ومحرروها يحررونها لا يتقيدون بآرائهِ وارشاداتهِ الا بما كان منها اهدى الى الغاية التي يتوخونها . وكان يحب ان الطيران بآلة اثقل من الهواء والوصول الى القطب الشمالي من الاعمال المستحيلة فنادى مدير الجريدة في احد الايام وقال لهُ لك ان تعضد بمال الجريدة وتفوذها اي مشروع عمومي الا الطيران والبحث عن القطب الشمالي على انهُ لم تمض سنوات عشر حتى وصل القومندور بيري الاميركي الى القطب الشمالي. وحقق الاخوان ريط حلم القدماء بامكان الطيران في آلة اثقل من الهواء . وكان المستر بلتزر لا يزال حيًّا فوضع جائزة بواسطة جريدتهِ الورلد قيمتها الفا جنيه تعطى لمن يطير من مدينة البني الى نيويورك (مسافة نحو ١٢٠ ميلاً) فنالها الطيار غلن كرتس واعتمد عليها في انشاء معمل الطيران الشهير المنسوب اليهِ . ولا تزال جوائز بلتزر للطيران تعطى كل سنة للسابقين في هذا المضمار

وكان شديد الاعتقاد بالطرانات كثير من الرجال الذين يصيبون نجاحاً باهراً ومن

ذلك احترامهُ وثقتهُ في العدد . فقد ولد في ١٠ ايرين سنة ١٨٤٧ ووصل الى سانت لويس في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٦٨ ووحّد جريدتي اليوست والدسباتش في ١٠ دسمبر ١٨٧٨ واشترى جريدة الورلد في ١٠ مايو ١٨٨٣ . ولما اشترى بيتاً لهُ في نيويورك اختار المنزل نمرة ١٠ في الشارع ٥٠ ومجموع رقمي الشارع عشرة ايضاً . وانزل سعر جريدته من سنتين اي اربعة مليمات الى سنت واحد اي مليمين في ١٠ فبراير سنة ١٨٩٦ فنشأ عن ذلك منافستهُ الشديدة مع صحف هرست ولم تسفر تجربتهُ هذه عن النجاح المنتظر فقد شيئاً من ثقتهِ بهذا العدد

وكان يحب ان يشارك رجالهُ في كل ما يعود عليهِ بشيء من المسرة . عاد في شتاء احدى السنين من وادي نهر المسيسبي الى نيويورك فوجد البرد فيها قارساً فاشترى رداء من الفرو لانقائهِ وكان هذا قبل ان تحتم الحكومة على شركات الترامواي وقطارات النفق ان تدفئ مركباتها ولم تمض بضعة ايام على شرائهِ هذا الرداء حتى اهدى الى نفر من كبار رجالهِ في ادارة الورلد اردية من الفرو مثلهُ . وكان وهج الشمس يتعب عينيهِ فابتاع برنيطة مصنوعة من قش بناما لكي تظلهما ولم يلبث ان اهدى مثلها الى المقربين اليهِ من الكتّاب والمديرين . ولما تخطت جريدة الورلد المائة الف نسخة في ما يباع منها اهدى الى كل عامل فيها برنيطة رسمية من الحرير الاسود . وكان كثيراً ما يحتدم الجدال بينهُ وبين احد عمّالهِ فينتهي برهان وكان الرهان في الغالب على خمس برانيط . قيل انهُ تجادل مرةً مع مدير اشغالهِ فرفض ان يسلم بما قالهُ لهُ المدير ولكنّ هذا لم يقنط من اقناعهِ فظل يبحث عما يؤيد بهِ اقوالهُ حتى ظفر بهِ وارسلهُ الى رئيسهِ فوصلهُ وهو على يختهِ في جزيرة كورفو على شواطئ بلاد اليونان . فابرق للعامل اليهِ يقول اشترِ خمس برانيط على حسابي ولتكن واحدة منها خاصة بالاوبرا وقد كان يعلم ان مديرهُ هذا ليس من هواة الاوبرا

جمع ثروة طائلة حتى استطاع ان ينفق من دخلهِ نحو سبعين الف جنيه كل سنة . وخاف ان تؤثر مصالحهُ المالية في مواقفهِ العامة فكتب سنة ١٩٠٧ حين حدثت الازمة المالية في رآسة روزفلت الى المستر كُب كبير كتابهِ ما يأتي « لا يخفى عليك ان لي مصالح مالية كبيرة وسيتأثر بعضها بالاحوال العامة واكاد لا اثق بنفسي حين ارى مصالحي المالية يهددها خطر من الاخطار فقد انهزم امام احدها فارسل اليك امراً بتغيير خطة الجريدة لكي لا اخسر من مالي شيئاً ولذلك ازيدك ان تصدقني وان تقسم لي بان تتجاهل امراً كهذا اذا ورد عليك » وكان لا يخبر احداً من كتابهِ الرئيسيين باسماء الشركات التي يحمل اسهمها لكي لا تتأثر سياسة الجريدة بمصالح صاحبها المالية